﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: 58]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الـضِّـدُّ يظهر حسنَهُ أو قبحَهُ الضِّدُّ

بعد أن خُتِمَت الآيةُ السّابقة بقولِه سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ ذكر هنا مصاديقَ أولئك الَّذين لا يعلمون، وهم عميان القلب والمسيئون، وليوغلَ في الإنكار عليهم، ويظهرَ باطلَهم، قابلهم بأضدادهم من أهل الإيمان والبصيرة، فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسْتَوِي﴾: أصلُ (سوي) يَدُلُّ على استِقامَةٍ واعتِدالٍ بَينَ شَيئَينِ، يُقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادِلُهُ، وفُلانٌ وفُلانٌ على سَوِيَّةٍ مِن هذا الأمرِ، أي: سَواء[1]، والتَّسويَةُ: ضِدُّ المُفاضَلَةِ، وتأتي بِمعنى العَدلِ والإنصافِ، فيُقال: سَوَّيتُ بين الشَّيئَينِ؛ إذا عَدَلت بَينَهُما[2]، وهي أيضًا: تَقويمُ الشَّيءِ وتَعديلُهُ، تَقولُ: سَوَّيتُ الشَّيءَ، فاستَوى، أي: قَوَّمتُهُ، فاستَقامَ[3]، والمقصودُ في الآية: استنكار جعْلِ الأشياء المتضادَّة متساوية!

2) ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: أصل (عمي) يدلُّ على ستر وتغطية[4]، العَمى يقال في افتقاد البصرِ والبصيرةِ، ويقال في الأوَّل: أعمى، وفي الثّاني: أعمى وعَمٍ، وعلى الأوَّل قوله تعالى: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: 2]، وعلى الثّاني ما ورد من ذمِّ العَمَى في القرآن نحو قولِه: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوا).
(3) الجوهري، الصحاح: (عدل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمي).

عُمْيٌ﴾ [البقرة: 18]، بل لم يعدَّ افتقاد البصر في جنب افتقاد البصيرة عَمًى حتّى قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: 46][1]، وعَميَ عليه الأمر؛ إذا التبس[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص: 66]، والعمى في هذه الآية: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هو من عمى البصيرة.

3) ﴿ٱلْمُسِىٓـَٔ﴾: أصلُ (سوأ) يدلُّ على قُبحٍ، تقول: رجل أسوأُ، أي: قبيح، وامرأة سوءاء، أي: قبيحة، ولذلك سمّيت السَّيِّئة سيِّئة، وسُمّيت النّار سوءَى؛ لقُبح منظرها[3]، والسّوءُ: كلُّ ما يغمُّ الإنسان من الأمور الدُّنيويَّة، والأخرويَّة، ومِنَ الأحوال النَّفسيَّة، والبدنيَّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم وعبَّر عن كلِّ ما يقبح بالسّوءَى، ولذلك قوبلَ بالحُسنى، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: 10]، كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: 26][4]، والمُسيء: اسم فاعل من أساء، وهو من يعمل السوء وأشدُّه الكفر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضـربُ الأمـثـال من أرقى وسائل إبـــراز المـعـاني وإيـصـالـهـا للمخاطَبين

يقرِّر المولى سبحانه في هذه الآية الكريمة أنَّه لا مساواة أبدًا بين المؤمن بالله والكافر به، فهما ضدّان، فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ﴾، أي: كما لا يستوي في الواقع، ولا في حكم العقل كلٌّ مِنَ الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي من آمن بالله وعمل الصّالحات، ومن كان مستكبرًا على عبادة ربِّه، مقدمًا على معاصيه، ساعيًا في مساخطه، ﴿قَلِيلًا

(1) الراغب، المفردات: (عمي).
(2) الجوهري، الصحاح: (عمي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سَوأ).
(4) الراغب، المفردات: (سوأ).

مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: إنَّ تذكُّركم قليلٌ، وإلّا فلو أنَّكم تذكَّرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشَّرِّ، والفرق بين الأبرار والفجّار، وكانت لكم همَّة عليه؛ لآثرتم النّافع على الضّارِّ، والهدى على الضَّلال، والسَّعادة الدّائمة، على الدُّنيا الفانية[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى﴾:

عطفُ المثال على البرهان يقوّي المعنى ويثبّته

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ عاطفة للجملة بعدها على جملة: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[2]، وقيل: الواو للاستئناف، والجملة بعدها مستأنفة[3].

دلالةُ التَّعبير بـ﴿وَمَا يَسْتَوِى﴾ وحذف متعلّقه:

نفيُ الاستواءِ يعني إثباتَ وجود المفاضلة بين المتقابلين بطريق الكناية

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ نافيةٌ، وتأتي لنفي الحال، بخلاف (لا) التي تأتي في الأصل لنفي الاستقبال، وقيل: تنفي الحال أيضًا.

ولفظ الاستواء يَدُلُّ في أصل معناه على استِقامَةٍ واعتِدالٍ بَينَ شَيئَينِ، يُقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادلُهُ[4]، والتَّسويَةُ: ضِدُّ المُفاضَلَةِ، وتُطلق في الإثبات على وجود مُماثلةٍ ومشابهة بين شيئين، فيُقال: سَوَّيْتُ بين الشَّيئَيْنِ؛ إذا عَدَلت، وساويت بَينَهُما[5]، وتُطلق في النَّفي على وجود المفاضلة بينهما "بطريق الكنايةِ، والمقام هو الَّذي يعين الفاضل من المفضول"[6]، والتَّعبير بالمضارع دالٌّ على استمرار هذه القاعدة في نفي التَّساوي بين كلِّ نقيضين متقابلين، وحذف

(1) السعدي، تفسير السعدي، ص: 740.
(2) الخطيب وآخران، التفصيل: 24/ 201.
(3) الخراط، المجتبى: 3/ 1108.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوا).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 63.

متعلِّق فعل الاستواء "يقتضي العموم في متعلَّقاته، لكنَّه يخصُّ بالمتعلَّقات الَّتي يدلُّ عليها سياق الكلام، وهي آياتُ الله ودلائل صفاتِه، ويُسمَّى مثل هذا العموم: العموم العرفيَّ"[1].

نكتةُ تقديمِ كلٍّ من الأعمى والَّذين آمنوا على مقابلهما:

تقديمُ ذِكر الأدنى على الأعلى في الأولى، والأعلى على الأدنى في الثّانية لاعتبارات سياقيَّة ونظميَّة

قدَّم الأعمى على البصيرِ؛ لأنَّ المرادَ نفي مساواته به، حيث قدَّم تشبيه حال الكافر وكفره على تشبيه حال المؤمن وإيمانه ابتداء، أي: بتقديم الأعمى الذي شُبِّه به الكافرُ، على البصير الَّذي شُبِّه به المؤمن؛ لأنَّ الغرضَ الأهم من هذا التَّشبيه هو تفظيعُ حال الكافر، ثم الانتقال إلى حسن حال ضدِّه[2]، وأضاف الآلوسيُّ سببًا آخر مرتبطًا بالنَّظم والسياق، فقال: وقدَّم الأعمى لمناسبة العمى ما قبلَهُ مِن نفي العِلم، وقدَّم الذين آمنوا بعدُ - أي: في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ - لمجاورة البصير ولشرفهم[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظتَي ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾:

الكفرُ بالله أعظم العمى والإساءة

في لفظتَي ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ استعارتان تصريحيَّتان، حيث استعار لفظ ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ للكافر، ولفظ (البصير) للمؤمن، وصرَّح بالمستعار - المشبَّه به - فيهما بعد حذف المشبَّه فيهما أيضًا، والغرضُ من هذا الاستعارة المبالغةُ في نفس التَّسوية بين المقامَين؛ لأنَّه مِنَ المتبادر أنَّ الأفضل هو صاحب الحال الأفضل، وهو البصير؛ إذ لا يختلف الناس في أنَّ البصر أشرف من العمى في شخص واحد[4].

بلاغةُ الطِّباق بين لفظَي الأعمى والبصير:

استخدام الطِّباق لتبشيع صورة الكافرِ المجادل في آيات الله بغير سلطان

في هذا التَّقابل بالتَّضادِّ بين لفظَي ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ (طباق الإيجاب)، وهدفُهُ: إبراز الفرق بين كلِّ واحد من المتقابلَين وما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 177.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 292.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 332.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 177.

يضادُّه، ونفي التَّسوية بينهما؛ تحذيرًا وتنفيرًا من سيِّئهما، وترغيبًا وتحفيزًا للنُّهوض بطيِّبهما.

فائدةُ الجملة الخبريَّة ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾:

فائدةُ هذه الجملة الخبريَّة: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾، وما عطف عليها، وهو قوله سبحانه بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾ إقرارُ ميزان العدلِ بعدم المساواة بين الجاهلين المقلّين المجادلين في آيات الله بغير سلطانٍ، وأولئك الذين آمنوا عن وعي ويقين لإفادتِهم بما ساقَهُ الله تعالى في هذا الكون مِن دلائل وحدانيَّته وقدرته، ولم يمشوا في ركاب الضّالّين عن الحقِّ بعدما أنار الله لهم طُرُقَهُ، وكشف لهم دروبه.

إقرارُ ميزانِ العدلِ بعدم التَّساوي بين الضّالّين والمؤمنين

نكتةُ حذفِ فعل الاستواء:

الواو في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ عاطفةٌ، عطفت الجملة بعدها على الجملة التي قبلها في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾، والتَّقديرُ: وما يستوي الذين آمنوا[1].

لم يَذكرْ فِعل الاستواء مع الجملة الثّانيةِ لاشتراكهما في معنى نفي التَّساوي

ولم يذكر فعل الاستواء مع الجملة الثانية، واكتفى بالعطف في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾؛ لإلحاقها بها في معنى نفي التساوي، أي: فكما أنَّه لا يتساوى العمى والبصر في الشخص الواحد كذلك لا يتساوى الإيمان والكفر والمعبَّر عنه بالإساءة، فكان ذِكر الفعل ﴿يَسْتَوِي﴾ مرَّةً واحدةً كافيًا؛ للدَّلالة على المراد لاشتراكهما في معنى نفي التَّساوي بين المتقابلَين، وعدم استقلال الثّانية بمعنى جديد.

غرضُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلته:

عبَّر بالاسم الموصول وصلته في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للتَّنبيه على ما في حيِّز الصِّلة، وهو إيمانهم وما عطف

الإيمانُ بالرَّحمن طريقُ الفوز بالجنان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 178.

عليه من عمل الصّالحات، وبيان أنَّه سببُ تميُّزهم على مقابليهم، وهم المسيئون.

فائدةُ التَّعبير بالأفعال الماضية وسرُّ العطف بينهما:

الأعمالُ الصّالحة دليل كمال الإيمان

عبَّر بصيغة الماضي في قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق حصول كلٍّ منهما، فسببُ تميُّزهم هو كونهم قد تحقَّقوا بأصل الإيمان، ثمَّ تلبَّسوا بعمل الأعمال الصّالحة، ليصدِّق فعلُهم إيمانَهم، وفيه إشارةٌ إلى التَّكامل بين الإيمان والعمل الصّالح؛ لكونِ العمل الصّالح هو الدَّليل على الإيمان والعنوان المعبَّر عنه، ولذا تعاطفا.

علَّةُ تعريفِ لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وجمعه:

ضمُّ الصّالحات بعضِها إلى بعضٍ لتكثر الحسنات وتُكفَّر السَّيِّئات

كلمةُ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ منصوبةٌ على المفعوليَّة، أو على أنَّها صفة للمفعول المحذوف، أي: الأعمال الصّالحات، والتَّعريف فيها للجنس، فليس المقصود بالصّالحات أعمالًا محدَّدة منها، بل المراد كلُّ ما هو صالح من الأعمال القلبيَّة والبدنيَّة، وسرُّ جمع اللَّفظ الدَّعوة إلى الإكثار من الأعمال الصّالحة، وألّا يُكتَفى بالقليل منها؛ ليؤازرَ بعضها بعضًا، ولتجبر ما عساه أن يقع من المؤمن من السَّيِّئات، فتكفر بهذه الصّالحات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114]، فإن قيل: إنَّ جمع المؤنَّث السّالم يفيد القلَّة لا الكثرة؛ قيل: إنَّ جمع المؤنث السالم عندما يُعرَّف بـ (أل)، أو الإضافة يفيد العموم والعموم يفيد الكثرة، وجاء في حاشية الشِّهاب: جمع المؤنث السّالم وإن كان للقلَّة إذا دخلت عليه (أل)؛ يفيد الكثرة بمعونة المقام[1].

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ﴾ هي واو العطف، عطفت المسيءَ

(1) الشهاب، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 368.

على الَّذين آمنوا عطْفَ المفردِ على المفرد[1]؛ ليتمَّ بهذا العطف نفي التَّسوية بين الطَّرفين، وهم أهل الإيمان ومن يقابلهم من أهل الإساءة والكفران.

لا يستوي محسنٌ ومسيءٌ

نكتةُ النَّفي بـ (لا) بعد سبق النَّفي بـ ﴿مَّا﴾:

أعيدت (لا) النّافية بعد واو العطف على النَّفي، وكان العطف مغنيًا عنها، فإعادتها لإفادة تأكيد نفي المساواة، ومقام التَّوبيخ يقتضي الإطناب، ولذلك تعد (لا) في مثله زائدة، كما في مغني اللَّبيب، وكان الظّاهر أن تقعَ (لا) قبل (الذين آمنوا)، فعدلَ عن ذلك للتَّنبيه على أنَّ المقصودَ عدم مساواة المسيءِ لمن عمل الصّالحات، وأنَّ ذِكرَ (الَّذين آمنوا) قبل ﴿ٱلۡمُسِيٓـَٔۚ﴾؛ للاهتمام بالذين آمنوا، ولا مقتضى للعدول عنه بعد أن قُضي حقُّ الاهتمام بالَّذين سبق الكلام لأجل تمثيلهم، فحصل في الكلام اهتمامان.

المبالغةُ في نفي التَّساوي دليل عظيم الخسران

وقريب منه ما في سورة فاطر في أربع جمل: اثنتين قدَّم فيهما جانب تشبيه الكافرين، واثنتين قدَّم فيهما تشبيه جانب المؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾ [فاطر: 19 - 22].

دلالةُ التَّعبير بـ﴿ٱلۡمُسِيٓـَٔۚ﴾ مادَّة وصيغة:

المقصود بـ(المسيء) أصحاب السجايا السَّيِّئة، وهم الثّابتون على السوء وأعلاه الكفر

أصل (سوأ) يدلُّ على قُبح، تقول: رجل أسوَأُ، أي: قبيح، وامرأة سوءاء، أي: قبيحة[2]، ثمَّ انتقلت هذه الدَّلالة الحسّيَّة إلى دلالة معنويَّة؛ ليطلق اللَّفظ على ما يصدر عن المرء من أعمال غير صالحة، وعليه سمّيت السَّيِّئة سيِّئة؛ لقبحها من جهة المعنى، ومِن ثمَّ قوبل السّوءى بالحُسنى في الكتاب العزيز، فقد قال الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 178.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوأ).

تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: 10]، كما قال أيضًا: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس: 26][1]، وأمّا عن إيثار صيغة اسم الفاعل ﴿ٱلۡمُسِيٓـَٔةَۚ﴾ دون التَّعبير بالفعل، فلم يقل: (ولا الذين أساؤوا)، فيتقابل التَّعبير لفظًا وتركيبًا مع قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وذلك لما في التَّعبير باسم الفاعل من دلالة على الثُّبوت والدوام، فالمقصود بلفظ ﴿ٱلۡمُسِيٓـَٔةَۚ﴾ الذين اعتادوا أن يكونوا مسيئين بكلِّ ما تحمله الكلمة من معانٍ، بما في ذلك الكفر نفسه، وهو أشدُّ أنواع الإساءة، وللإيماء إلى أنَّ المقصود به الذين تكون الإساءة فيهم كالطَّبع والسجيَّة، وليس الذين يسيئون، ويتوبون كعصاة المؤمنين.

بلاغةُ الطِّباق في الآية بين الأحوال المختلفة:

في الآية طباق ظاهرٌ وآخر خفيٌّ

في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ طباق ظاهر، وهو طباق إيجاب؛ إذ قابل به بين هذين اللَّفظين مع قصديَّة ما يدلان عليه مجازًا من معنى الكفر والإيمان، ويوجد طباقٌ خفيٌّ بين المؤمنين والمسيئين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓـَٔةُۚ﴾؛ إذ قابل بينهما، والأظهر أن يقابَل الذين آمنوا بالَّذين كفروا، لكنَّه عبَّر عن الكفر بالإساءة؛ ليضيف بُعدًا آخر في وصفهم، وهو كونهم مع كفرِهم واقعين في ممارسة كافَّة أنواع الإساءة ممارسة المطبوع عليها، أو للدَّلالة على أنَّ الكفرَ هو رأسُ الإساءة وأقبحها.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾:

لو كانوا مِن أهل العقول لما اختاروا طريقَ الكفر والفجور

﴿قَلِيلٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ منصوب على أنَّه صفة لمصدر محذوف، والتَّقدير: تذكُّرًا قليلًا ما تتذكَّرون، أو على أنَّه نعت لظرف زمان محذوف، أي: وقتًا قليلًا أو زمانًا قليلًا[2]،

(1) الراغب، المفردات: (سوأ).

(2) الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 496.

و﴿مَّا﴾ مصدريَّة وهي مع الفعل بعدها في تأويل مصدر، في موضع رفْعٍ بقوله: ﴿قَلِيلًا﴾، أي: قليلًا تذكُّركم، أو قليلًا تذكُّرهُم على قراءة (يتذكرون) بياء الغيبة[1]، والتَّعبير بـ﴿قَلِيلًا﴾ منكَّرًا للتَّقليل، أو للانعدام والتَّلاشي؛ إذ إنَّ لفظ القلَّة قد يُطلق، ويراد به عدمُ الوجود، فيكون المعنى: تذكُّركم قليل جدًّا، أو أنَّه لا تذكُّر لكم من الأساس؛ "لأنَّ قلَّة التَّذكُّر تؤوَّل إلى عدم العلم، فتكون القلَّة هنا كناية عن العدم، وهو استعمال كثير، كقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة: 88]"[2]، أي: لا يؤمنون أصلًا.

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾:

جحودُ المجادلين مع كثرةِ الحججِ والآياتِ

عبَّر بصيغة المضارِع في قولِه تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ للدَّلالة على انتفاءِ وقوع التَّذكُّر منهم والاعتبار، مع كثرة الآيات الدَّالَّة على صِدق ما جاءهم مِنَ الحقِّ، فهُم لكثرة جدالهم في آيات الله بغير سلطان قد استفرغوا أوقاتهم في ذلك بحيث لم يعد لديهم وقتٌ ولا جهدٌ للتَّذكُّر والتَّدبُّر.

نكتةُ حذفِ مفعول ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾:

ماتت قلوبُهم، فعموا عن التَّذكُّر والتَّدبُّر

حذف مفعول ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ إمّا للتَّعميم، فهُم لا يتذكَّرون أبدًا تذكُّر اتِّعاظ لأيِّ شيء ممّا يحيي القلوب الميتةَ، أو أنَّه أنزل الفعل منزلة اللازم، فكان الاهتمامُ ببيان كونهم لا يتذكَّرون، ولا يتَّعظون، بقطع النَّظر عن تعيين مفعول محدَّد.

حسنُ النَّسق في الآية:

نظمُ القرآن عجيب، ينفع النُّفوس، ويحيي القلوب

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ﴾ فنُّ (حسن النَّسق) وذلك أنَّ في ترتيب النَّسق ثلاثَ طُرُقٍ، **إحداها**: أن يجاورَ المناسب ما يناسبُهُ كهذه

(1) الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 496.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 197.

الآية، فالأعمى يجاورُ البَصيرَ، وهذان الوصفان مستعاران لمن غفل عن معرفة الحقِّ في مبدئه ومعاده، وقدَّم الأعمى في نفي التَّساوي لمجيئه بعد صفة الذَّمِّ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أي: المحسن يجاور المُسيء، وقدَّم الذين آمنوا لمجاورته للبصير، وناهيك بهذه المجاورة شرفًا للمؤمن. **وثاني الطَّريقتين**: أن يتأخَّر المتقابلان، كقوله تعالى: ﴿۞مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ [هود: 24]. **وثالثتهما**: أن يُقدَّم مقابل الأوَّل، ويُؤخَّر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠﴾ [فاطر: 19 - 20]، وكلُّ ذلك تفنُّنٌ في البلاغة وأساليب الكلام، والمتكلِّم يتخيَّر في إيرادها إحداها حسب مقتضى الحال، ووفق نواميس البلاغة وطرائقها[1]، فالسّياق وتوخّي حسن النَّسق هو الَّذي يتحكَّم في النَّظم والتَّرتيب بين النَّظائر في الكتاب العزيز.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الأعمى والأكمه:

الأعمى وصفٌ يقالُ لفاقد البصرِ مع وجود العينين، وقد يُعبَّر به عن فقدان البصيرةِ، وهو أكثر استعمالات القرآنِ، قال الرّاغب: العَمَى يقال في افتقاد البصرِ والبصيرة، ويقالُ في الأوَّل: أعمى، وفي الثّاني: أعمَى وعَمٍ[2]، والأكمَهُ: هو الَّذي يولد مطموس العين، وقد يقال لمن تذهب عينه، كما قيل: كَمِهَتْ عيناه حتى ابيضَّتا[3]، والمراد بالعمى في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ عمى القلبِ والبصيرةِ، لا عمى العينِ.

الأعمى هو فاقدُ البصرِ مع وجود العينين والأكمه هو مطموس العينين

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 268، والخفاجي، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 377، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 503.
(2) الراغب، المفردات: (عمي).
(3) الراغب، المفردات: (كمه).

التَّذكُّر والتَّفكُّر:

التَّذَكُّر: التَّذَكُّرُ تَفَعُّلٌ من الذِّكر، وهو ضدُّ النِّسيان، وهو حضور صورة المذكور العلميَّة في القلب، واختير له بناء التَّفَعُّلِ لحصولهِ بعد مهلة وتدرُّج، كالتَّبصُّر والتَّفهُّم والتَّعلُّم[1]، وعرَّفه الكفويُّ بأنَّه: محاولةُ النَّفس استرجاع ما زالَ مِنَ المعلومات[2].

التَّذكُّر هو مقصود التَّفكُّر وثمرته

وأمّا التَّفكُّر؛ فقد عرَّفه العسكريُّ بقولهِ: التَّفكُّر: تصرُّف القلب بالنَّظر في الدَّلائل[3]، وقال الرّاغب: الفِكرَةُ: قوَّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتَّفكُّر: جولان تلك القوَّة بحسب نظرِ العقلِ[4]، وهما متلازمان، "فالمتفكِّر ينتقل من المقدِّمات والمبادي الَّتي عنده إلى المطلوب الَّذي يريده، فإذا ظفر به، وتحصَّل له؛ تذكَّر به، وأبصر مواقع الفعل والتَّرك وما ينبغي إيثاره وما ينبغي اجتنابه، فالتَّذكُّر هو مقصود التَّفكُّر وثمرته، فإذا تذكَّر؛ عاد بتذكُّره على تفكُّره، فاستخرج ما لم يكن حاصلًا عنده، فهو لا يزال يكرِّر بتفكُّره على تذكُّره وبتذكُّره على تفكُّره ما دام عاقلًا"[5]، فبان بذلك أنَّ منزلةَ التَّذكُّر من التَّفكُّر منزلةُ حصول الشَّيء المطلوب بعد التَّفتيش عليه[6]، ولأجل أنَّ التَّذكُّر هو غاية التَّفكُّر، فقد أوثرَ التَّعبيرُ به في قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، بما يومِئُ إلى أنَّه قد حصل منهم تفكُّرٌ على الأقل فيما يقرّون به مِن كونِهِ سبحانه خالق السَّموات والأرض.

(1) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/ 440.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 67.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 121.
(4) الراغب، المفردات: (فكر).
(5) ابن القيم، مفتاح دار السعادة: 1/ 214.
(6) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/ 440.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»